

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين :
سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن أمتنا الإسلامية تعاني ومنذ مدة طويلة انقساماً ، وتجزئة ، وتخلفاً عن
ركب الحضارة الإنسانية بعد أن كانت قائدة لهذه الحضارة ولمدة طويلة من الزمان ،
وهذا الانقسام الذي حلَّ بالأمة تزداد مساحته يوماً بعد آخر ، لذلك كان لا بُدَّ للأمة
وهي تعمل على استعادة دورها في قيادة البشرية التي أتعبتها الأفكار شريقيها ،
وغربيها أن تعمل على إعادة وحدتها أولاً لتكون قادرة على أن تؤدي دورها في هذا
المجال .

إننا لا نرى أي مبرر لأن تعلق الأمة أسباب انقسامها ، وتجزئتها ، واغترابها
عن قيمها ، ومبادئها على أعدائها ، فالأعداء . مهما كانوا أقوياء ، وهم ليسوا كذلك
في حقيقة الأمر . لا يمكن أن ينفذوا إلى الأمة إذا كانت قوية محصنة ، ولكن الأمة .
ولأسباب عدة ليس هذا البحث محل مناقشتها . ضعفت ، فسهلت السيطرة عليها .

إننا مدعوون الآن . أكثر من أي وقت مضى . لأن نكون إيجابيين ، وأن
ندعو الأمة إلى أن تأخذ بالوسائل ، وتسلك السبل ، وتعمل على أن تأخذ بالأفكار
والخطط التي تعمل على إنقاذها من تفرقها ، وتشتتها ، وتكون سبباً في انتشارها من
واقعها المزري ، ومن ثم تحرير أراضيها من المحتلين ، واستعادة وحدتها ، وقوتها
كي تقوم بدورها الذي قدر لها ، فهي الأمة الوسط الشاهدة على الناس (وكذلك

جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس (١) ، ولا يمكن أن يتأتى هذا ، والأمة قاعدة تلقي باللوم على أعدائها ، وتلعنهم صباح مساء .

ومما لا شك فيه أن الأمة . ويحمد الله . تعالى . بدأت تتحسس بعض معالم الطريق في الأعوام السابقة ، وينظر أصحاب الفكر والعقيدة في واقعها ، ويعملون على إذكاء روح الهمة في الأمة ، وتبصيرها بحقوقها التي لها على حكامها ، وضرورة أن تتمتع الأمة بهذه الحقوق مما أثار حفيظة الحكام المتسلطين على مقاليد الأمة في أكثر من مكان والذين هم . في اعتقادنا . السبب الرئيس في تجزئة الأمة ، وتخلفها ، فحدث الصدام ، فتهافت عروش كثير منهم أمام هذا المدّ الجماهيري ، والذي ما يزال مستمراً في أماكن أخرى من الأمة ، والذي نسأل الله . سبحانه وتعالى . أن تكون عاقبته خيراً للأمة ، وأن يكون سبباً في نهضتها ، ووحدتها .

واستجابة للدعوة الكريمة التي تلقيتها من كلية الشريعة الغراء في جامعة تكريت الموقرة التي ستعقد مؤتمرها العلمي الرابع بعنوان (الوحدة الإسلامية بين الواقع والطموح) للمدة من ٢٥-٢٦ نيسان ٢٠١٢ بإذن الله . تعالى . ، يسعدني أن أشارك وللمرة الثانية في أعمال المؤتمر العلمي الذي تقيمه كليتكم بالبحث الموسوم (إحياء ، وتجديد وحدة الأمة : السبل ، والوسائل) ضمن المحور السادس (ضعف الوحدة : أسبابها ، وطرق علاجها) ، راجياً أن ينال رضاكم .

لقد اشتمل هذا البحث بعد المقدمة على خمس سبل ، ووسائل نراها مهمة ، وضرورية ، وتساعد الأمة في إعادة بناء وحدتها ، وهي :

- أولاً/ الوحدة واجب شرعي .
- ثانياً/ أهمية الوحدة في تقوية الأمة .
- ثالثاً/ تعزيز مقومات الوحدة الإسلامية .
- رابعاً/ التصدي للأفكار والمشاريع التي تعمل على تفتيت الأمة .
- خامساً/ الاستفادة من تجارب الأمم في بعث وحدة الأمة .

(١) سورة البقرة : من الآية (١٤٣) .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به ، إنه
سميع قريب .

وآخرُ دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .
وصلّى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيراً.

الأستاذ الدكتور

عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق

قسم القرآن الكريم ، والتربية الإسلامية ،

كلية التربية للبنات . جامعة بغداد

ربيع الآخر ١٤٣٣ هـ

شباط ٢٠١٢ م

العنوان البريدي : العراق . بغداد . الرصافة . الجادرية

جامعة بغداد / كلية التربية للبنات . قسم القرآن الكريم

البريد الإلكتروني : alhealee_mm @ Yahoo.com

رقم الموبايل : ٠٧٩٠٢٤٧٨٧٧٨ . ٠٧٧٠٧١٨٠٨٥٠

أولاً/ الوحدة واجب شرعي

حينما دخل النبي . صلى الله عليه وسلم . المدينة المنورة قام بأعمال مهمة ، ومن تلك الأعمال تنظيمه العلاقات بين سكان المدينة المنورة ، وكتب كتاباً في ذلك أوردته المصادر التاريخية ، واستهدف هذا الكتاب ، أو الصحيفة ^(١) توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة ، وتحديد الحقوق والواجبات .

ويطالعنا في أول هذه الوثيقة وصف المسلمين من قريش ، وأهل المدينة ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم بأنهم أمة واحدة من دون الناس ^(٢) ، وكان هذا شيئاً جديداً كل الجدة في تاريخ الحياة السياسية في جزيرة العرب ، إذ نقل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قومه من شعار القبيلة والتبعية لها إلى شعار الأمة التي تضم كل من اعتنق الدين الجديد . وبهذا الاسم الذي أطلق على جماعة المسلمين ، المؤمنين ، ومن تبعهم من أهل المدينة اندمج المسلمون على اختلاف قبائلهم في هذه الجماعة التي ترتبط فيما بينها برباط الإسلام ، وهذا الرباط ترتب عليه أمور كثيرة، فهم يتكافلون فيما بينهم ، وهم ينصرون المظلوم على الظالم ، وهم يرعون حقوق القرابة ، والمحبة ، والجوار ^(٣) .

(١) تعرّض الدكتور أكرم ضياء العمري في كتابه (السيرة النبوية الصحيحة) لدراسة طرق ورود الوثيقة ، وقال : ترقى بمجموعها إلى مرتبة الأحاديث الصحيحة ، يُنظر : ٢٧٥/١ من الكتاب المذكور ، ويُنظر : وثيقة المدينة المنورة : دراسة تحليلية ، للدكتور عبد القادر مصطفى المحمدي : ١٤-٢١ ، فقد ناقش الطرق التي وردت بها هذه الوثيقة.

(٢) يُنظر : البداية والنهاية : الحافظ إسماعيل بن كثير : ٢٣٦/٣ .

(٣) يُنظر : التاريخ السياسي والحضاري : الدكتور السيد عبد العزيز سالم : ١٠٠ .

لقد انصهرت قبيلتا الأوس والخزرج في جماعة الأنصار ، ثم انصهر المهاجرون والأنصار في جماعة المسلمين ، وأصبحوا أمة واحدة .
ويلاحظ أن الرسول . صلى الله عليه وسلم . عنى بالأمة في هذه الوثيقة : الجماعة التي تعتق عقيدة واحدة بغض النظر عن الجوار ، أو القرابة ، أو الأرض ، أو النسب ، أو اللغة ، أو المصلحة ، أو الهوى ، فكل ذلك ليس بشيء ، أما العقيدة ، فالمسلمون يؤلفون أمة واحدة ، ويؤلف اليهود أمة واحدة ، على الرغم من الجوار ، واللغة ، والأحلاف السابقة ، وإن الجماعة الإسلامية شخصية دينية ، وسياسية ، ومن حقها أن تؤمن المطيع ، وتعاقب المفسد (١) .

إن هذا الذي تثبته رسول الله . صلى الله عليه وسلم . في ما يتعلق بالأمة ، وضرورة وجودها قد جاء به القرآن الكريم ، قال الله . تعالى . : (ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون) (٢) . وقد عمل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . على رد كل ما من شأنه أن يعمل على تمزيق هذه الوحدة ، فقال : " من قاتل تحت راية عُميَّة : يقاتل عصبية ، ويغضب عصبية ، فقتلته جاهلية " (٣) ، ووصف هذه العصبية بوصف مقزز ، فقال : " دعوها ، فإنها منتنة " (٤) . وكان يدعو إلى وحدة

(١) يُنظر : التاريخ الإسلامي : محمود شاكر : ١٥٦/٢ .

(٢) سورة الأنبياء : الآية (٩٢) .

(٣) صحيح مسلم : ٢٤٠/٢ ، وهو مطبوع مع شرحه (المنهاج) للإمام النووي ، وسنن النسائي : ١٢٣/٧ ، وسنن ابن ماجه : ٤٣٨/٥ ، والمسند للإمام أحمد . رحمه الله . : ٤٨٨ ، ٣٠٦/٢ .

(٤) قال سيدنا جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . : " كنا في غزاة فكسع . ضرب برجله . رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا لأنصار ! وقال المهاجري : يا للمهاجرين ! ، فسمع ذلك رسول الله . صلى الله عليه وسلم . ، فقال : ما بال دعوى الجاهلية ؟ قالوا : يا رسول الله : كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال : دعوها ، فإنها منتنة " . صحيح البخاري : ١٩١/٦ ، وصحيح مسلم : ١٣٨/١٦ ، وجامع الترمذي : ٣٩٠/٥ .

الصف ، وجمع شمل الأمة ، وعدم الخروج على إرادتها ، فيوصي المسلمين بقوله :
" أوصيكم بتقوى الله ، والسمع والطاعة ، وإن عبداً حبشياً " (١) ، بل دعا الأمة إلى
ضرب عنق كل من يعمل على تمزيق وحدتها ، فقال : " ... ، فمن أراد أن يفرق
أمر هذه الأمة ، وهي جميع ، فاضربوه بالسيف كائناً من كان " (٢).

إنَّ الإسلام يرى أن وحدة الأمة ، ووقوفها صفاً واحداً أمر في غاية الأهمية ،
وأنه واجب على الأمة لا يجوز أن تغفل عنه ، يقول الله . تعالى . : (واعتصموا
بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (٣) ، وهذا أمر ، والأمر يفيد الوجوب كما هو معروف .

ثانياً/ أهمية الوحدة في تقوية الأمة

مما لا شك فيه أن للوحدة أثرها المهم في بناء ، وتقوية الأمة ، بل إن أي
أمة لا يمكن أن تكون قوية مهابة الجانب إذا كانت متفرقة ، لذلك دعا الإسلام
المسلمين إلى التوحد ، فقال : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمت
الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً) (٤) ، فالله .
تعالى . يأمر بالألفة ، وينهى عن الفرقة ، فإن الفرقة هلكة ، والجماعة نجات (٥) .

وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق ، والأمر بالاجتماع ،
والإتلاف ، أخرج الإمام مسلم . بسنده . عن سيدنا أبي هريرة . رضي الله عنه . ، أن
رسول الله . صلى الله عليه وسلم . قال : " إن الله يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً

(١) سنن أبي داود : ١٩٧/١٢ - ١٩٨ ، وهو مطبوع مع شرحه (عون المعبود) للعظيم
آبادي ، وجامع الترمذي : ٤٣/٥ ، ومعنى (وإن عبداً حبشياً) ، أي : وإن كان المطاع
عبداً حبشياً .

(٢) صحيح مسلم : ٢٤١/١٢ ، وسنن النسائي : ٩٣/٧ ، والمسند : ٢٤/٥ .

(٣) سورة آل عمران : من الآية (١٠٣) .

(٤) سبق تخريج الآية قريباً .

(٥) يُنظر : الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي : ١٥٩/٤ .

، فيرضى لكم أن تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ، ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال " (١) .

ولقد حذر الله المسلمين أشد التحذير من الانسياق وراء الدعوات التي تعمل على تفتيت وحدة الأمة ، وبين لهم أن ذلك قد يؤدي بهم إلى الكفر ، فقال: (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) (٢) ، قال زيد بن أسلم (٣) : " مرّ شاس بن قيس اليهودي . وكان شيخاً قد عسا (٤) في الجاهلية ، عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين ، شديد الحسد لهم . على نفرٍ من أصحاب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه ، فغاضه ما رأى من جماعتهم ، وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم في الإسلام ، بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة ، فقال : قد اجتمع ملأ بني قَيْلَة (٥) بهذه البلاد ، لا والله ما لنا معهم إذا اجتمعوا بها من قرار ، فأمر شاباً من اليهود كان معه ، فقال : إعمد إليهم ، فاجلس معهم ، ثم ذكرهم بيوم بعث ، وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، وكان بعث يوماً اقتتل في الأوس والخزرج ، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج ، ففعل ، فتكلم

(١) صحيح مسلم : ١٠/١٢ ، ويُنظر : المسند : ٣٦٧/٢ .

(٢) سورة آل عمران : الآية (١٠٠) .

(٣) زيد بن أسلم العدوي ، مولى سيدنا عمر . رضي الله عنه . ، أبو عبد الله ، أو أبو أسامة المدني ، ثقة ، عالم . من رجال الشيخين ، توفي سنة ١٣٦ هـ . ترجمته في : مشاهير علماء الأمصار لابن حبان البستي : ٨٠ ، والجمع بين رجال الصحيحين لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي : ١٤٤/١ .

(٤) عسا الشيخ ، يعسو : ولى ، وكبير ، مثل : عتا . يُنظر : مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي : ٣٢٢ ، مادة (عسا) .

(٥) قَيْلَة : هي أم الأوس ، والخزرج ، وهي : قَيْلَة بنت كاهل ، وهو اسم أم لهم قديمة . يُنظر : لسان العرب لابن منظور الإفريقي : ٥٨٠/١١ ، مادة (قيل) .

القوم عند ذلك ، فتنازعوا ، وتفاخروا ، حتى تواتب رجالان من العيين : أوس بن قَيْطِي : أحد بني حارثة من الأوس ، وجبار بن صخر : أحد بني سلمة من الخزرج ، فتناولوا وقال أحدهما لصاحبه : إن شئت والله رددتها الآن جذعة ، وغضب الفريقان جميعاً ، وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح موعدكم الظاهرة ، وهي حُرّة ، فخرجوا إليها ، وانضمت الأوس والخزرج بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله . صَلَّى الله عليه وسلّم . ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ، فقال : يا معشر المسلمين ، أبدوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم ، بعد أن أكرمكم الله بالإسلام ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، وألّف بين قلوبكم ، فترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً؟! الله الله ، فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوّهم ، فألقوا السلاح من أيديهم ، وبكوا ، وعانق بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله . صَلَّى الله عليه وسلّم . سامعين مطيعين ، فأنزل الله: (يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقاً من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) (١) .

ثالثاً/ تعزيز مقومات الوحدة الإسلامية :

مما لا شك أنّ على الأمة أن تعمل على تعزيز مقومات وحدتها ، ولعل من أهم مقومات هذه الوحدة ما يأتي :

أ/ الشعور بالانتماء الحقيقي لعالم إسلامي يستمد تعاليمه ، وأخلاقياته من القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وتنمية شعور الأمة بالانتماء إلى هذا الدين

(١) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي : ١٢٦-١٢٧ ، مطبوع بهامش

المصحف الشريف الذي تشرفت بطبعه مطبعة أنوار دجلة في بغداد عام ١٤٢٤ هـ .

العظيم ، وهذه الأمة الخيرة التي وصفها الله . تعالى . بالخيرية ، فقال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١) .
إنَّ الشعور بالانتماء إلى هذه الأمة العظيمة يجعل على المسلم لزوم محبتها، والدفاع عنها جماعة ، وأفراداً .

ب/ نبذ الخلافات المذهبية التي من شأنها أن تقوّض الوحدة الإسلامية ، وتوجد الضغينة في قلوب المسلمين ، والعمل على تقريب وجهات النظر من خلال عقلية معتدلة متزنة تأخذ من الآخرين بمستوى ما تطرحه ، عقلية منفتحة غير منغلقة ، تقبل الحوار ، ولا تتعصب لرأي ، وعلى مبدأ أن الخلاف في الرأي لا يفسد للود قضية .

ج/ نبذ الخلافات العرقية التي رفضها الإسلام ، فلم يفرق بين أسود ، وأبيض، ولا يتفاضلون إلا بالتقوى ، جميعهم عباد الله ، لهم حقوق ، وعليهم واجبات .

د/ العمل الاقتصادي المشترك ، وذلك من خلال استفادة المسلمين من الموارد البشرية في ديار المسلمين الغنية ليحصل التقدم في مجال التنمية البشرية ، وتحسين الظروف المعيشية للمسلمين من خلال عملية تكامل اقتصادي بين ديار المسلمين (٢) .

رابعاً/ التصدي للأفكار ، والمشاريع التي تعمل على تفتيت وحدة الأمة:

(١) سورة آل عمران : من الآية (١١٠) .

(٢) يُنظر : مقومات الوحدة الإسلامية ، ومعوقاتها ، وسبل معالجتها : الدكتور ياسين الويسي : ٣٩٢-٣٩٤ ، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العلمي الثامن لكلية الشريعة في جامعة جرش : ٢٠٠٦ م .

إنَّ الأمة المسلمة تعيش في عالم تتصارع فيه الأفكار ، ويحاول فيه القوي أن يسيطر على الضعيف ، ويستغله لتمشية مصالحه ، ويسخره لخدمته . والخير والشر موجودان في هذه الدنيا منذ أن خلق الله . تعالى . الخلق ، والشر يعمل دائماً على محاربة الخير ، وزحزحته عن هذا الوجود ، لأنَّ وجود الخير يشكل تحدياً للشر ، ولذلك نجد أن الأشرار لا يطيقون وجود الخير ، ويعملون جاهدين على محاربتهم . والأمة المسلمة كونها خاتمة الأمم ، والشاهدة عليهم يجري عليها من السنن ما يجري على غيرها ، وبما أنها تمثل قمة الخير الإنساني الذي أراد الله . تعالى . لهذه البشرية فإن سهام الأشرار قد توجهت نحوها منذ أول يوم من قيام دولة الإسلام في المدينة المنورة ، وحاولت هذه السهام العمل على تفتيت وحدة هذه الأمة التي جمعها الله على مبادئ الخير ، ومزّ بنا كيف أنّ شاس اليهودي حينما رأى المسلمين من الأوس والخزرج متصافين متحابين بعدما كان بينهم من خصام ، وفُرقة حاول أن يذكي بينهم نار الفرقة ، والاختلاف ، ولكن الله . تعالى . ردَّ كيده .

والأمة في عصرها الحاضر تعرضت ، وما تزال تتعرض لكثير من المحاولات التي تعمل على تفتيت وحدتها ، وتحت شتى المسميات ، وأدّى ذلك إلى أن تفرقت الأمة شيعاً وأحزاباً متصارعة ، عملت على تمزيق وحدتها ، وجعلتها لقمة سائغة لعدّوها ، ودّت فيها الضعف حتى وصلت إلى حالة مزريّة صارت تستجدي رضا أعدائها ، وصارت تتوسل إلى أعدائها من الصهاينة أن يقبلوا ، وأن يجلسوا معها على مائدة للتفاوض .

إنَّ الأمة المسلمة مطالبة وبمختلف قطاعاتها الفكرية بأن تحارب هذه الأفكار محاربة جدية ، وتبيّن رأي الإسلام الواضح فيها ، إذ أن هذه الأفكار شريقيها ، وغربيها جرّت على الأمة ويلات ، ومزقتها ، وما زالت شرّ ممزّق ، فتحت مسمى (الوطنية) قسمت الأمة إلى دول ، ولكل دولة علمها الخاص بها ، وتجمع الناس الذين يعيشون في هذه البقعة من أرض الأمة تحت هذا العلم ، وأوجد الأعداء . بمساعدة بعض المنتفعين الجهلة من أبناء الأمة . مشاكل بين كل قطر ، وما يجاوره

سواء كانت سياسية ، أو جغرافية ، أو اقتصادية ، أو اجتماعية ، ويعملون جاهدين على تغذيتها ، واستمرارها ، محاولين بين الحين والآخر إثارتها ، ووصل الأمر في بعض الأحيان أن جيّش كل قطر جيشه ضد جاره ، بل وتقاتلوا فيما بينهم (١) ، وسفكت دماء أبناء الأمة ، زيادة على خسران الأمة لمواردها التي وهبها الله ، ودفعت من الأموال الكثير الكثير لشراء الأسلحة المدمرة التي يصنعها هؤلاء الأعداء .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإن الشعور بالقطرية عمل على تغذيته ، فصار كل فرد يعتز بهذه القطرية ، ويعمل جاهداً على رفع شأن القطر الذي وُلد فيه ، وأدى ذلك في كثير من الأحيان إلى الحط من قدر أبناء الأمة في الأقطار الأخرى ، ومعاملتهم كأنهم أعداء ، ونظرة إلى مباريات كرة القدم التي تجري بين هذه الأقطار ، وما يفعله المشجعون ، وكيف يؤدي اللاعبون بعضهم بعضاً ، كأن أخاه من القطر الآخر عدوّ له تعطينا صورة واضحة عن ذلك (٢) .

ولعلّ الطامة الكبرى هي المتمثلة في هذه الحدود المصطنعة الموضوعية بين هذه الأقطار ، بحيث صار الفرد من أبناء الأمة لا يستطيع أن يدخل أي قطر من أقطار الأمة إلاّ بصعوبة بالغة ، ويبقى ينتظر الساعات الطوال عند هذه الحدود ، ناهيك عن الجهد الذي يبذله . في الغالب . من أجل الحصول على تأشيرة الدخول إلى ذلك القطر ، في الوقت الذي نجد أن أعداءنا الذين لا يجمعهم رابط من دين ، أو تاريخ ، أو لغة صار مواطنوهم يتتقلون بين بلدانهم بالهوية فقط .

ومن الأفكار الخطيرة التي عملت على تفتيت وحدة الأمة ، ومزقتها فكرة (القومية) ، والتي يمكن تعريفها بأنها : نزعة تربط الفرد بقومه بروابط متجانسة كالقراية ، واللغة ، والعادات ، والتقاليد ، والتاريخ ، وتوجد بينهم أفكار مشتركة

(١) والحرب بين العراق وإيران التي دامت ثماني سنوات ، ودخول العراق الكويت سنة ١٩٩٠م خير شاهد على ذلك .

(٢) لعلّ الجميع يتذكر ما حدث في مباراة كرة القدم بين مصر والجزائر عام ٢٠٠٩م .

كالوحدة ، والتحرر ، والعدالة ، والحرية . وقد عرّفها بعضهم بأنها : شعور جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد ، والدليل على ذلك أنهم يتكلمون لغة واحدة ، ويشتركون في تراث واحد ، ثم يتجه تاريخهم اتجاهاً واحداً جامعاً ، وهذا يدفع إلى القول بأن القومية تعني : العصبية الجنسية ، لأنّ هذه العوامل الثلاثة : اللغة ، والتاريخ ، والتراث تصب كلها في دائرة الأصل الواحد (١) .

إنّ فكرة القومية تشكل خطراً عظيماً على وحدة الأمة ، وتقف عائقاً عظيماً أمام نهضتها ، وهي بلا شك دعوة كذلك لأولئك الذين يحملون الفكر القومي كرأس حربة أمام الشخصية الإسلامية ، لاسيّما بعد سقوط الاشتراكية على أرضها ، وترنح العلمانية في مهدها .

لقد برزت الدولة القومية بعد انهيار الإمبراطورية الروسية ، وبعد سقوط الدولة العثمانية ، وبعد تفكك بعض دول أوروبا الشرقية حيث برزت فكرة القومية في البلاد العربية بعد سقوط دولة الخلافة .

لقد نشأت القومية العربية تحت تأثير عاملين رئيسيين :

العامل الأول : مجارة القومية الطورانية ، ورد فعل على سياسة التتريك التي تبناها أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بعد أن أحكموا سيطرتهم على الدولة العثمانية في أعقاب خلعهم السلطان عبد الحميد عام ١٩٠٩ م . وكان جميع أعضاء هذه الجمعية من اليهود المنافقين من يهود الدونمة الذين قدموا من (سالونك) ، فلبسوا لباس الإسلام ، وتسمّوا بأسماء إسلامية ، وأخذوا يكيّدون للإسلام ، وللدولة العثمانية، وقد توصلوا إلى مراكز عليا في الجيش ، وفي الحكومة ، ولم يكن أحد من أعضاء هذه الجمعية من أصل تركي ، بل كانوا موزعين من يهود إسبانيا ، وبولندا ، والمجر ، وبلغاريا ، وقد قامت دعوتهم بالرجوع بالدولة العثمانية إلى خصائص أسلافهم الطورانيين . سكان تركستان . ، وقد كان عداؤهم هذه السياسة للأتراك ، وللإسلام على حد سواء ، ولكن لما لم يستطيعوا تتريك الشعوب التي كانت تخضع

(١) يُنظر : العلمانية والقومية : عدنان زرزور : ٢٩-٣٠ .

للدولة العثمانية كان ذلك مبرراً لتلك الشعوب للدعوة إلى قوميتهم ، وبالتالي الانفصال عن الدولة العثمانية . دولة الخلافة . ، فبدأ العرب بالدعوة إلى قوميتهم مجارة لهذه الدعوة الطورانية الجاهلية ، فنشأت جمعيات عربية مثل جمعية الاتحاد العربي ، وجمعية المنتدى الأدبي ، والعهد ، والناطقين بالضاد (١) .

ولكن في الحقيقة لم يكن هذا التطرف البغيض عند جميع العرب ، لأن بعض العرب كان يرفض ذلك المشروع ، وهو الدعوة إلى الطورانية ، كما يرفض فكرة الدعوة إلى القومية دون أي تعريض بالإسلام ، أو انتقاص لقيمه ، أو الدعوة إلى الرجوع إلى التاريخ الجاهلي (٢) .

العامل الثاني : استعارة الأفكار ، والنظم الغربية ، وتقليد الغربيين في شعارات عصر نهضتهم ، حيث عرف القرن التاسع عشر بعض القوميات ، وكانت الدعوة إلى القومية العربية في عهد التفوق الأوربي ، وقد كانت هناك علاقات وثيقة بين أوروبا ، والدولة العلمانية التي قامت على أنقاض دولة الخلافة ، فكان لكل من بريطانيا ، وفرنسا ، وروسيا امتيازات داخل الدولة العثمانية ، فكان لها إرساليات تبشيرية ، ومدارس لم تخل منها حاضرة داخل الدولة العثمانية ، زيادةً على ذلك تلك الحروب التي شنتها تلك الدول على الدولة العثمانية . وكان للمدارس التبشيرية ، ومدارس الدول المستعمرة الأثر البارز في الإجماع على وحدة الأفكار ، ووحدة الثقافة البغيضة .

إنَّ تحديد ظهور القومية الطورانية بعد سياسة التتريك يُعدُّ فاصلاً بين عهد الدعوة إلى القومية العربية ، حيث كانت في بداية نشأتها حكرًا على النصارى ، وبين

(١) يُنظر : تجديد التاريخ : عمر فروخ : ٢٨٤-٢٨٦ .

(٢) يُنظر : العلمانية والقومية : ٣٦ ، ونشوء القومية العربية : زين نور الدين : ٢٠٧ .

عهد دخول عدد غير قليل من المسلمين^(١) . وارتباط نشأة القومية العربية بذلك له ما يفسره ، فنصارى العرب ، ولاسيما الذين كانوا يعيشون في بلاد الشام ، ويخضعون لدولة الخلافة كانوا ينظرون إلى هذه الدولة على أنها دولة مستعمرة ، فلم يكن لديهم الولاء للنظام العثماني ، ولم يشفع لهم انتمائهم إلى الثقافة العربية الإسلامية ، بالرغم من الحقوق التي كانوا يأخذونها ، وبالرغم من الامتيازات التي كانت لهم ، والتي قد تفوق الامتيازات للمسلمين .

هذا ، وقد أعقب ظهور فكرة القومية ظهور ما يعرف بالصحة الإسلامية التي يرافقها . بلا شك . المد الإسلامي مع تعدد أطرافه ، واتجاهاته ، وهذا قد يحمل القوميون إلى مواجهة هذه الصحة التي تعمل على أن تستعيد الأمة وحدتها ، وعزتها ، وكرامتها ، وهذا ما هو واقع الآن ، إذ أن الصراع على أشده بين أنصار الصحة الإسلامية ، ودعاة القومية .

ومع نبذنا لفكرة القومية من جذورها ، فإننا نؤكد أن العرب هم حجر الزاوية في بناء دولة الإسلام ، وبدون شك ، فإن عروبة القرآن الكريم ، ولسانه العربي المبين كان هو الحاسم في مواجهة المذاهب المناقضة للإسلام ، وهذا واضح بين الشعوب التي تنحدر من أصل واحد حين اعتنق بعضها الإسلام ، وبقي البعض الآخر على وثنيته^(٢) . وليست فكرة القومية خاصة بالقومية العربية ، إذ أن هناك دعوات قومية أخرى في شرق الأمة ، وغربها ، يعمل المروجون لها على جعلها بديلاً للأمة الإسلامية .

(١) يُنظر : يقظة العرب : جورج انطونيوس ، ترجمة : الدكتور ناصر الدين الأسد ، والدكتور إحسان عباس : ١٤٩ .

(٢) يُنظر : العلمانية والقومية ، وخطرها على فكر الأمة : الدكتور : يحيى دخل الله : ٧٥١ ، بحث مطبوع ضمن بحوث المؤتمر العلمي السادس لكلية الشريعة في جامعة جرش الأهلية عام ٢٠٠٤ م .

خامساً/ الاستفادة من تجارب الأمم في بحث وحدة الأمة :

إنَّ العالم الذي نعيش فيه يشهد نوعاً جديداً من العلاقات بين الدول ، فنلاحظ أن بعضاً من هذه الدول تعمل على أن ترتبط مع البعض الآخر بأحلاف ، ومواثيق ، ومعاهدات من أجل أن تكون قوية مهابة الجانب في عالم السياسة ، أو أن تتكفل مع دول أخرى لتشكل مجموعة اقتصادية تحاول السيطرة على اقتصاد العالم ، ومن ثم السيطرة الكاملة على مقدراته ، ومن هذه التكتلات السياسية . مثلاً . : حلف شمال الأطلسي المعروف بحلف (الناتو) الذي تقوده الولايات المتحدة الأمريكية ، ومن التكتلات الاقتصادية المعروفة : السوق الأوروبية المشتركة . والملاحظ على هذه التجمعات سواء منها السياسية ، أو الاقتصادية أن الدول المنضوية تحتها لا يجمعها . في الغالب . رابط مشترك من دين ، أو تاريخ ، أو لغة ، ولكنها . مع ذلك . اتحدت فيما بينها ، وصار المنضوون تحت لوائها كأنهم أبناء دولة واحدة ، لهم هدف مشترك ، ويعبرون عن رأي واحد ، بل إنهم في السوق الأوروبية المشتركة وحّدوا حتى العملة التي يتعاملون بها (اليورو) .

إنَّ أمتنا الإسلامية عليها . في واقعها الحالي المتردي . أن تستفيد من تجارب هذه الأمم ، وهي . أمتنا الإسلامية . تملك من مقومات الوحدة الشيء الكثير ، ومظاهر هذه الوحدة كثيرة ، ومتشابهة لا مثيل لها ، وتربط المسلمين بهذه المعاني ارتباطاً يشكل وحدة تقوم على عوامل كل منها يؤكد الآخر ، ومن مظاهر هذه الوحدة :

٠١ وحدة العقيدة : إنَّ (لا إله إلا الله ، محمد رسول الله) هي أصل وحدة المسلمين ، متى قالها الإنسان كان من هذه الأمة .

٠٢ وحدة العبادة : فالله . سبحانه وتعالى . خلق الجن والإنس لعبادته : (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)^(١) ، والعبادة التي فرضت على المسلمين جميعاً واحدة ، ولهذا المعنى أثره الكبير في تأكيد وحدة المسلمين . وزيادة

(١) سورة الذاريات : الآية (٥٦) .

على ذلك ، فإن في العبادات الإسلامية معاني كثيرة ، تزيد وحدة الأمة الإسلامية قوة ، ومتانة ، كوحدة القبلة ، وصوم شهر واحد في العام ، وفي الحج يلتقي المسلمون كل عام .

٠٣ وحدة التاريخ : فتاريخ المسلم لا يرتبط بطين الوطن ، ولا بصباغة اللون، ولا بلغة الجنس الذي ينتسب إليه ، إن تاريخ المسلم الذي ينتسب إليه ، ويعتز به هو تاريخ الإسلام ، ودعائه : رُسل الله . عليهم الصلاة والسلام . .

٠٤ وحدة الدستور والقانون : فمنابع الدستور والقانون للأمة الإسلامية هو القرآن الكريم ، والسنة النبوية المشرفة ، وبذلك يكون للأمة الإسلامية تشريع واحد: دستوري وقانوني (١) .

إن الأمم التي نراها تجمعت ، واتحدت فيما بينها إنما دعاها إلى ذلك مصالحها ، وأمور دنياها ، وإن أمتنا ليس حالها كذلك ، وإنما الذي أمرها بالوحدة، ونهاها عن التفرق ربه ، فحريٌّ بها أن تستمع إلى كلام ربه ، لأن في ذلك نفعاً يعود عليها في دينها ودنياها ، ففي دينها تكسب رضا خالقها ، وآثار هذا الرضا ليست مقتصرة على الآخرة ، إنما يتعدى ذلك إلى دنيا الناس ، فهو الحياة الطيبة التي يعيشها المسلم : (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة) (٢) . وأما في دنياها ، فإن في اتحادها قوة عظيمة ، لاسيما وقد حباها ربه موقعاً جغرافياً متميزاً يتوسط هذا العالم ، ويسيطر على معظم الممرات البحرية المهمة ، وأعطاه موارد اقتصادية يطمع الكثير من بلدان الأرض أن يكون له ، ولو جزء يسير مما عند الأمة ، فأرضها صالحة للزراعة ، والأنهار تجري فيها ، وهي تكاد تمتلك أكبر احتياطي للنفط في العالم ، هذا المورد الذي لو أحسنت استخدامه لكان سلاحاً مهماً في معركتها مع أعدائها .

(١) يُنظر : الإسلام : سعيد حوى : ٣٣٨ ، فما بعدها ، فإنه أورد هذه المظاهر ، وغيرها .

(٢) سورة النحل : من الآية (٩٧) .

وليس هذا ، فحسب ، فإن موارد الأمة البشرية تجاوزت المليار نسمة ، فهي تملك قوة بشرية هائلة تستطيع بها استغلال مواردها ، وتكوين قوة عسكرية قادرة على القيام بالواجبات الملقاة على عاتقها .

أهم التوصيات

وفي خاتمة هذا البحث ، أشير إلى أهم التوصيات :

- ٠١ على الأمة أن تعمل على إعادة وحدتها ، وأن هذا الأمر واجب شرعي لا يجوز لها أن تتقاعس عنه .
- ٠٢ على المفكرين والموجهين في الأمة أن يبثوا الوعي بأهمية الوحدة في تقوية الأمة ، ونبذ كل ما من شأنه أن يعمل على تفريق الأمة .
- ٠٣ العمل على تعزيز مقومات الوحدة الإسلامية ، ونبذ كل ما من شأنه أن يقوّض هذه الوحدة .

- ٠٤ العمل بكل قوة من أجل محاربة الأفكار ، والمشاريع التي يراد من خلالها تمزيق وحدة الأمة ، وبيان خطر هذه الأفكار على وحدة الأمة .
- ٠٥ على الأمة أن تدرك أن العالم الذي نعيش فيه إنما تكون فيه الغلبة للقوي سياسياً ، واقتصادياً ، وأن تعمل جاهدةً من أجل أن تكون قوة مؤثرة في هذا العالم ، وللوقوف في وجه قوى الشر والطغيان .
- والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .
- وصلّى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله ، وصحبه ، وسلّم تسليماً كثيراً .

فهرس المصادر

- ٠١ أسباب النزول : أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ت: ٤٦٨هـ)، مطبوع بهامش المصحف الشريف الذي تشرفت بطبعه مطبعة أنوار دجلة في بغداد عام ١٤٢٤هـ . ٢٠٠٣م .
- ٠٢ الإسلام : سعيد حوى ، مراجعة : وهبي سليمان الغاوجي . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م .

- ٠٣ البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، توثيق مجموعة من الباحثين .
دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٢٤ هـ . ٢٠٠٣ م .
- ٠٤ التاريخ الإسلامي : محمود شاكر . المكتب الإسلامي ، بيروت ، سنة
٢٠٠٠ م .
- ٠٥ التاريخ السياسي والحضاري : د. السيد عبد العزيز سالم .
- ٠٦ تجديد التاريخ : عمر فروخ .
- ٠٧ جامع الترمذي : أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (ت : ٢٧٩ هـ) ،
تحقيق: أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ،
سنة ١٤٠٨ هـ . ١٩٨٧ م .
- ٠٨ الجامع لأحكام القرآن : أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي (ت : ٦٧١ هـ) ،
طبعة مصورة على طبعة دار الكتب المصرية ، الناشر : دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٨٧ هـ . ١٩٦٧ م .
- ٠٩ الجمع بين رجال الصحيحين : أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي
(ت: ٥٠٧ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٥ هـ .
- ٠١٠ سنن ابن ماجه : أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت: ٢٧٥ هـ) ، حققه ،
وخرّج أحاديثه وعلّق عليه : الدكتور بشار عواد معروف ، دار الجيل ،
بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٨ هـ . ١٩٩٨ م .
- ٠١١ سنن النسائي : أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت: ٣٠٣ هـ) ، وهي
مطبوعة مع شرح الحافظ السيوطي ، وحاشية السندي . طبعة مصورة على
الطبعة الأولى بمصر ، سنة ١٣٤٨ هـ . ١٩٣٠ م ، دار إحياء التراث العربي ،
بيروت .
- ٠١٢ السيرة النبوية الصحيحة : أكرم العمري . مكتبة المعارف ، المدينة المنورة ،
الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢ هـ . ١٩٩٢ م .

- ٠١٣ صحیح البخاری : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ) ، مطبوعات محمد علي صبيح وأولاده ، مصر .
- ٠١٤ صحیح مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت : ٢٦١هـ) ، وهو مطبوع مع شرحه (المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج) للنووي . مطبعة دار إحياء الكتب العربية ، مصر .
- ٠١٥ العلمانية والقومية : عدنان زرزور .
- ٠١٦ العلمانية والقومية ، وخطرها على فكر الأمة : الدكتور يحيى دخل الله . بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العلمي السادس لكلية الشريعة / جامعة جرش الأهلية ، سنة ١٤٢٥هـ . ٢٠٠٤م .
- ٠١٧ لسان العرب : أبو الفضل محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ) ، دار صادر ، ودار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٠١٨ مختار الصحاح : محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: ٦٦٦هـ) ، طبع ، ونشر ، وتوزيع : المركز العربي للثقافة ، والعلوم ، بيروت .
- ٠١٩ المسند : الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . رحمه الله . (ت: ٢٤١هـ) ، المكتب الإسلامي ، ودار صادر للطباعة والنشر ، بيروت .
- ٠٢٠ مشاهير علماء الأمصار : ابن حبان البستي ، صححه : م.فلايشهر ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، سنة ١٣٧٩هـ . ١٩٥٩م .
- ٠٢١ مقومات الوحدة الإسلامية ، ومعوقاتها ، وسبل معالجتها : الدكتور ياسين حسين علوان الويسي ، بحث منشور ضمن بحوث المؤتمر العلمي الثامن لكلية الشريعة / جامعة جرش الأهلية ، سنة ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م .
- ٠٢٢ نشوء القومية العربية : زين نور الدين .
- ٠٢٣ يقظة العرب : جورج انطونيوس ، ترجمة : ناصر الدين الأسد ، وإحسان عباس ، الطبعة السابعة ، بيروت .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣-١	المقدمة
٦-٤	أولاً/ الوحدة واجب شرعي
٨-٦	ثانياً/ أهمية الوحدة في تقوية الأمة
٩-٨	ثالثاً/ تعزيز مقومات الوحدة الإسلامية
١٤-٩	رابعاً/ التصدي للأفكار ، والمشاريع التي تعمل على تفتيت وحدة الأمة
١٦-١٤	خامساً/ الاستفادة من تجارب الأمم في بعث وحدة الأمة
١٧	أهم التوصيات
٢٠-١٨	فهرس المصادر
٢١	فهرس الموضوعات

الأستاذ الدكتور
عبد الرزاق أحمد عبد الرزاق

مجلة العلوم الإسلامية
وقائع المؤتمر العلمي الرابع لكلية الشريعة
﴿ ٢٢ ﴾

إحياء وتجديد وحدة الأمة
السبل والوسائل